المحاضرة الرابعة/أب الرحلة.

مقدمة : الرحلة مرتبطة ارتباطا وثيقا بتاريخ الإنسان منذ العصور الغابرة ،وأول الرحلات التي قام بها الإنسان،هي رحلة سيدنا آدم عليه السلام من الجنة إلى سطح الأرض،ومنذ تلك الفترة لم تتوقف رحلات البشر.

1-في مفهوم أدب الرحلة:

أ-لغة:

"ارتحل القوم عن المكان ارتحالا،ورحل عن المكان يرحل وهو راحل من قوم رحل:انتقل ...،والترحل والارتحال"الانتقال وهو الرحلة ..."([1])

ب-اصطلاحا: (littérature de voyage):

أدب الرحلة:"هو مجموعة الآثار الأدبية،تتناول انطباعات المؤلف ورحلاته في بلاد مختلفة،وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق،لتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها،أو يسرد مراحل رحلته..."([2])

2-دوافع الرحلة:

تتعدد الدوافع التي تجعل الإنسان يرحل،وهي تختلف من شخص إلى آخر، ومن قوم لقوم:

أ-دوافع علمية أو تعليمية:

كان الناس يرحلون من منطقة إلى أخرى،بغرض طلب العلم ،في مختلف المجالات (الهندسة،الطب،الحديث والفقه...).

ب-دوافع دينية:

كهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة المنورة ،قصد تبليغ الرسالة السماوية على كافة البشر،والرحلة إلى الجهاد في سبيل الله،أداء فريضة الحج ،العبرة والاتعاظ...

ج- دوافع سياسية:

كتوطيد العلاقات بين الدول (الوفود والسفارات) التي تنتقل من بلد إلى آخر من أجل تبادل الآراء والخبرات في مختلف المجالات التي تهم البلدان .

---

[1]-ابن منظور،لسان العرب،دار بيروت للطباعة والنشر،بيروت،لبنان،(د.ت)،مج11،ص279.

[2]-مجدي وهبة وكامل المهندس،معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ،ط2،مكتبة لبنان،بيروت،1984،ص17.

د- دوافع حربية:

الهدف من هذه الرحلة العسكرية،هو توغل واستعمار الدول القوية على أراضي الدول الضعيفة واستغلال ثرواتها،وفرض هيمنتها.

ه- دوافع سياحية و ثقافية:

التنقل وتغيير الأجواء، والتعرف واكتشاف الأماكن والمعالم الشهيرة كالآثار والمنارات وغيرها.

و- دوافع اقتصادية:

المعاملات التجارية ،قصد تبادل السلع وفتح أسواق جديدة للعمل وسعيا وراء الرخص.

ي- دوافع صحية:

كالسفر قصد العلاج أو إراحة النفس وتغيير الجو،أو هروبا من الوباء والطاعون والتلوث.

3-أنواع أدب الرحلة:

- أدب الرحلة الدينية.
- أدب الرحلة القصصية.
- أدب الرحلة الجغرافية
- أدب الرحلة الثقافية

4- فوائد أدب الرحلات:

-التعرف على ثقافة وجغرافية ومناظر وعادات وتقاليد الدول الأجنبية،والغوص في رحلة الكاتب ،ويتصور القارئ نفسه،أنه رافق صاحبها في رحلته.

5-أدب الرحلة عبر العصور:

أ-أدب الرحلة في العصر الجاهلي:

"إن عرب ما قبل الإسلام اهتمّوا بالتجارة والتي كانت خارج أوطانهم برّا وبحرا، والغالب على الأمر أنّهم عرفوا الملاحة والإبحار منذ القديم، وهذا ظاهر من خلال رحلاتهم التّجارية إلى بلدان متعدّدة، وذاع صيتهم في شرق الجزيرة وحتّى الهند وما وراءها وما ذُكِر في بعض المصادر أنّ " الاسكندر الأكبر"

فكّر في غزو الجز يرة العربيّة عن طريق موانئها على الخليج العربي، وذلك لقطع صلاتها بالأسواق الإفريقية والهنديّة، كما أراد القضاء وبشكل كلّي على سيادة العرب وعلى الخطوط التّجارية البرّية والبحرية، وكذلك الحدّ من الارتفاع الهائل الذي وصلت إليه أسعار السّلع الثّمينة القادمة من الشّرق محمّلة على سفن عربيّة، أو على ظهور جمال القوافل وبعدها تنقل إلى أوروبا"([1])

ومن أشهر الرحالة في هذا العصر:سليمان السيرافي،سلام الترجمان..

ب-أدب الرحلة في العصر الإسلامي:

حث الله سبحانه وتعالى في كثير من آياته الكريمة،كافة المسلمين إلى الرحلة،لنشر الدعوة وتبليغ الرسالة،،والسير في البر وركوب الفلك وخوض البحار،كما دعا إلى السفر و السياحة طالبا للعلم والمعرفة،بالإضافة للتجارة في أرض الله الواسعة كرحلتي الشتاء والصيف(الشام واليمن) لاكتساب الخبرة في الحياة والانتفاع من الخيرات ،كما شجعهم على تحمل مشقة السفر.

فقد ورد ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى:﴿ لا إيلاَ فِ قُرَيْشٍ ، إِيلاَ فِيهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ، فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ، الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وآمنهم من خوف﴾.([2])

كما وردت كلمة (رحلة) في قوله تعالى:

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحلِ أَخِيه ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُم لَسَارِقُونَ ﴾([3])

ويقول الله تعالى أيضا :«﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَ فِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجري فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بها الأرض بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصريف الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ والأرض لآيات لقوم يَعْقِلُونَ ﴾([4])

ج-الرحلة في العصر الأموي:

"حقّقت توسّعا في الفتوحات، وهذه النجاحات كانت حافزا على غزو ميادين جديدة تعزّز النصر السياسي والحضاري، وتساعد على بناء دولة متقدّمة قائمة على العلم والإيمان، وتعطي الفرصة كاملة لعقل الإنسان حتى يبتكر ويبدع في مختلف مجالات الحياة، حيث تحمّس الكثير من الأشخاص إلى السفر وذلك بانطلاق الرّحلات سواء إلى الحج أو طلب العلم أو التّجارة في الإطار الرسمي الذي دعت إليه الحاجة والاهتمام بشؤون العمّال بجمع الجز ية والخراج"([5])

ج-الرحلة في العصر العباسي:

" الرحالون لم يهتموا برحلاتهم إلا في القرن الثالث هجري، و استمرّ التأليف فيها إلى أن أصبحت فنا

---

[1] - فؤاد قنديل، أدب الرّحلة في التراث العربي، ط2،مكتبة الدّار العربية للكتاب، القاهرة،2002 ،ص25.

[2] -سورة قريش،الآيات:1-4.

[3] -سورة يوسف،الآية:70.

[4] -سوة البقرة،الآية:164.

[5] - فؤاد قنديل، أدب الرّحلة في التراث العربي، مكتبة الدّار العربية للكتاب، القاهرة، ط 2 ،2002 ،ص25.

أدبيا مميزا حددت الباحثون حديثا وصنعوه ضمن أنماط السرد الذي يتخذ الرّحلة موضوعا لكي تعد فنا عليها أن تحمل قيمتين علمية وأدبية، فأدب الرّحلة كان ومازال تلك المدرسة التي توجز بالعبر والعلوم المختلفة"([1])

خاتمة:

أدب الرحلة تعددت أوجهه عبر العصور الغابرة،بفضله تم تدوين الرحلات والمواقف وصوروا المعاناة التي مروا بها في مختلف البلاد والأقطار،وهي فرصة لاكتشاف الآخر والتأثر بثقافتهم ،فلولا الرحالة لما تعرفنا عن مختلف المشاهير في هذا الأدب العريق،كشخصية (الإدريسي،ابن خلدون،المسعودي،ابن بطوطة ،البغدادي،ابن جبيير،الهمذاني...).

إذ كان للعرب مجهودات جبارة في اجتياز القفار والسير في الدروب الوعرة ،و أفنوا أعمارهم وأموالهم في سبيل الرحلة،إما للتجارة أو لطلب العلم أوالحج.

[1]-المرجع السابق،ص83.